



آلات قديمة وصوت شجي

## درب الشلوح في الدار البيضاء فضاء لإصلاح الأنغام والأوتار

### سوق وورش للآلات الموسيقية مرصعة بعشق الفن



فنان وخبير آلات موسيقية

حين قال "إن العمران بعد سببا في تطور الموسيقى في المجتمعات".  
وحسب التاجر لعلو يقوم بعض الأبياء في بعض الأحيان باقتناء آلات موسيقية لأولادهم من أجل تشجيعهم على ممارسة شخصية الطفل، وهو الأمر الذي لم يكن موجودا سابقا.

وعن مستقبل هذا النشاط المهني يعتبر لعلو أنه واعد في ظل الشغف الكبير بالموسيقى لدى شباب المغرب وبقيّة العالم بعد أن صاروا مهتمين بموسيقى الشعوب، هذا بالإضافة إلى اهتمام المولعين بفن الديكور بالآلات الموسيقية كعناصر هامة في تانيث المنازل.

والتعريف بالآلات الموسيقية المحلية؛ وهو ما يدفع فنانين عربا وحتى غربيين إلى البحث عن بعض الآلات في المغرب، ربما لقيمتها الفنية من ناحية العزف والغم، كما يقول لعلو.

وفي الماضي القريب كانت الآلات الموسيقية مسار اهتمام المطربين والملحنين وأساتذة الموسيقى والفنانين وبعض عشاق الغناء فقط، كما أكد ذلك لعلو. أما في الوقت الراهن فإن العديد من الشباب، سواء أكانوا طلبة في معاهد الموسيقى أم عشاقا للموسيقى، مهتمون أكثر باقتناء آلات موسيقية معينة، من أجل إشباع شغفهم الفني تماشيا مع التطور الفني والاجتماعي، فالعلامة عبدالرحمن بن خلدون كان دقيقا بشأن هذا الطرح

حين يبدأ ثمن الوتر من 150 درهما إلى 200 درهم. وهناك ما هو أغلى من ذلك، حيث يقول لعلو إن "هناك آلات وتار كبيرة تلك التي يعزف عليها أيقونة الأغنية الأمازيغية محمد رويشة، وفي المقابل هناك آلات متوسطة، وأخرى صغيرة جدا تلك التي تستعمل في روائع فن الملحون".

وإذا كانت عمليات إصلاح الآلات الموسيقية مهمة للغاية لأنها تطيل عمرها، خاصة إذا كانت فريدة ولها رمزية معينة، فإن عمليات التسويق لا تقل أهمية لأنها تروج بضاعة تعود بالفائدة على المهنيين. وهنا تحديدا تبرز أهمية عالم الرقمنة الذي يساهم في المزيد من التواصل

بمكونات الآلات ومعرفة فنية موسيقية، وكانه يحيل إلى ما جاء على لسان إمام الأدياء في العصر العباسي، الجاحظ الكناني الذي قال "إن الموسيقى كانت ينظر الفرس أدبا، وينظر الروم فلسفة، أما بنظر العرب فقد أصبحت علما".

وما دامت الآلات الموسيقية هي عماد الإنتاج الفني الغنائي سواء الاحترافي أو الهاوي فإن وجود محلات لإصلاحها يساهم في إبعاش المشهد الموسيقي، خاصة في ظل الإقبال الكبير على اقتناء الآلات موسيقية، كما يؤكد لعلو.

وينطوي هذا النشاط على قصص وحكايات لا يزال لعلو يتذكرها جيدا، ومنها تردد فنانين وملحنين مغاربة وعرب وأساتذة موسيقى وشباب وبعض عشاق الموسيقى على محله التجاري، منهم الفنان الراحل محمود الإريسي والمهدي الوزاني وغيرهما، وذلك من أجل اقتناء أوتار أو إصلاح الآلات أو اقتناء بعضها خاصة تلك التي تصنع محليا، مثل المندولين الذي تستعمله مجموعة لمشاهير.

ومن الآلات التي تجد إقبالا كبيرا من حيث تسويقها آلة العود التي تصنع محليا، حيث لفت لعلو إلى أن المغرب يحتل مراتب مهمة في صناعة آلة العود على المستوى العربي، مشيرا إلى أن العود المغربي مطلوب من فنانين مغاربة وعرب وحتى أجانب، بالنظر لميزته وجودته في تصنيعه وصوته.

وسواء تعلق الأمر بآلة العود المحلية أو بالآلة المستوردة فإن ثمنها يغي عن التعرف على قيمتها وجودتها؛ فالأسعار تبدأ بـ 500 درهم (55 دولارا أميركيا) وتصل إلى 6 آلاف درهم. وقد يصل الثمن حسب لعلو إلى 15 ألف درهم بالنسبة إلى أصناف جيدة جدا. ولا يقل ثمن الرباب الأمازيغي عن 700 درهم.

أما المندولين ذو الصنع المحلي فيتراوح ثمنه بين 500 و1700 درهم، في

تختلف الآلات الموسيقية في عمرها عن الإنسان الذي يشيخ كلما تقدمت به السنون. أما العود والناي وكل آلات العزف فتزداد قيمة ويزداد صوتها شجنا كلما تقدمت. لذلك يسعى عشاقها إلى إصلاحها وصيانتها وإعادة بيعها في ورش مخصصة يحتضنها درب الشلوح بالدار البيضاء في المغرب.

#### الدار البيضاء - في فضاء ينضج

بعقب التاريخ في المدينة القديمة للدار البيضاء تنتصب العديد من المحلات الخاصة بإصلاح وتسويق الآلات الموسيقية، في مشاهد تجاوزت ما هو محلي لتعانق أفقا عربية وحتى أجنبية، وذلك بالنظر لجودة بعض الآلات الموسيقية المصنعة محليا، والتي ذاع صيتها مثل العود المغربي والرباب

في درب الشلوح تترى المحلات بمختلف الآلات، منها سيد الآلات العود بأصنافه، والوتر بأشكاله، والرباب الأمازيغي ببهاثه، والكمان، والهجهوج، والغيثارة، ومختلف آلات النفخ، علاوة على أصناف مختلفة من البندير والطلبل والطريجة وغيرها.

بعض هذه الآلات معد للبيع وبعضها الآخر في طور التصنيع، كما أن الآلات أخرى توجد في طور الإصلاح، وهو ما أسره لوكالة المغرب العربي للأنباء سعيد لعلو، التاجر المختص في إصلاح الآلات الموسيقية وصناعة المندولين، ويمارس هذا النشاط لأكثر من أربعين سنة في محله التجاري درب الشلوح.

عمليات الإصلاح التي تهم الآلات من صنع محلي وحتى مستوردة تركز على أعطاب في الأوتار أو مختلف مكونات الآلات بشكل يعيدها إلى وضعها الطبيعي ويجعلها قابلة للعزف أو النقر أو النفخ بطريقة جيدة، كما قال لعلو، لافتا إلى أن هذا النشاط يتطلب دراية خاصة

#### العود المغربي

مطلوب من فنانين محليين وعرب وحتى أجانب، نظرا لميزته وجودته في تصنيعه وصوته



## دباغة الجلد في فاس.. ألوان قديمة تزيّن الحياة المعاصرة

وحرفييها في مختلف أنواع الصناعات التقليدية، لاسيما الدباغة التي تقاوم زحف مظاهر الحياة المعاصرة. ويشكل قطاع الصناعة التقليدية، وفق إحصاءات رسمية، مصدر دخل رئيسيا لحوالي 33 في المئة من سكان مدينة فاس عموما، و75 في المئة من سكان المدينة القديمة، موزعين على أكثر من 200 حرفة.

#### دار شؤارة معلمة تاريخية تجعل السائح يقف مشدوها أمام لوحة فنية تشبه بأحواضها الدائرية المزركشة ألوان الطيف

وتعتبر مدينة فاس رابع أكبر مدن البلاد، إذ يبلغ عدد سكانها 1.9 مليون نسمة، من إجمالي 34.3 مليون نسمة، وتحتضن "البالي" أو المدينة التراثية القديمة. ويعمل في الصناعة التقليدية التراثية في المغرب أكثر من 412 ألف شخص، وفق إحصاءات رسمية.

وبعد أن أجبرت ظروف جائحة كورونا الصناع التقليديين على إغلاق محلاتهم، في سياق حالة الطوارئ الصحية، عاوت أنشطة الصناعة التقليدية نشاطها بشكل طيب لكن بثبات، لتستعيد من جديد تالقها وتجدد اللقاء بزبائن تحفل لديهم مكانة خاصة.

بقائها ويحرصون على تقديم جودة عالية للدباغة النباتية". ويتابع "حماية أصالة المنتجات وجودتها يمنح الحرفيون في الدباغة علامات الجودة للتمييز بين المنتجات المستوعبة تقليديا والأخرى المزورة".

وقال إن منح الصناع المؤهلين علامة الجلد الطبيعي عبر إثبات خلو الجلد من المواد المصنعة عن طريق التحاليل المخبرية يساهم في "الرفع من قيمة المنتج، نظرا لاحتراسه المعايير البيئية، وفيه مجهود بدني، فضلا عن كونه موروثا ثقافيا وحضاريا ومهينا متوارثا عبر الأجيال، وهذه هي نقطة القوة الأساسية لهذا المنتج التي يمكن أن تساهم في رفع ثمن البيع وفي تمييز جودة منتج الدباغة التقليدية".

وشدد على أن "دار الدباغة تعتبر مركزا للتدريب في مجال الصناعات الجلدية، حيث استفاد قبل أيام خبراء من إيطاليا وإسبانيا من التدريب هنا". وأرخت جانحة كورونا بظلالها على دار الدباغة، خصوصا بعد إغلاق المغرب حدوده الجوية والبحرية لأكثر من ثلاثة أشهر، ما تسبب في توقف حركة السياح. وعن تأثير جائحة كورونا أوضح العماري أنها "تسببت في توقف تام للعمل في دار الدباغة، خصوصا خلال أشهر الحجر الصحي من 20 مارس إلى منتصف يونيو، لكننا نتمنى انطلاقة جديدة".

وتشتهر مدينة فاس (شمال)، منذ نشأتها قبل 12 قرنا، بتفن أهلها

دار الدباغ شؤارة معلمة تجعل السائح يقف مشدوها أمام هذه اللوحة الفنية المتكاملة، التي تشبه بأحواضها الدائرية المزركشة ألوان الطيف الذي يستعمله الرسام لإنجاز أعماله الفنية.

ويضيف العماري أن "دار الدباغة هي مهد الصناعات الجلدية في العالم، تحافظ على أصالتها من خلال الدباغة النباتية التي انقرضت في العالم وبقيت صامدة في فاس".

ويوضح "الحرفيون المعلمون يجوبون هذه الحرفة الأصيلة ويناضلون من أجل

تنقيتها وغسلها جيدا باستعمال مواد كالجير وفضلات الحمام، ثم يقومون برميها داخل الجفنة ليتم دبعها".

ويتابع موضحا "الألوان التي تصطبغ بها الجلود تستخرج بالأساس من قشور الرمان والزعران ومواد طبيعية أخرى".

أما عبدالناصر العماري، رئيس الجمعية المهنية للمعلمين الدباغة (غير حكومية) وعضو في غرفة الصناعة التقليدية بجهة فاس - مكناس، فيعتبر أن "مدبغة شؤارة معلمة سياحية تاريخية تحافظ على بصمتها كقاهرة للصناعة التقليدية في مدينة فاس العتيقة".

ويضيف "على الرغم من الظروف وهشاشة قطاع الصناعة التقليدية والتقليد فإننا نجتهد من أجل حماية حرفة الدباغة من الاندثار، خصوصا أن الحرفيين يورثون الحرفة إلى أبنائهم من جيل إلى جيل".

ويوضح أن "الدباغين يقومون بتدوير جلود الماشية وجعلها قابلة للتصنيع، لكن بطرق تقليدية ومواد نباتية طبيعية صرفة".

وعن مراحل الدباغة قال "ينتقي الدباغون الجلود، وبعد تنقيتها يضعونها في الحوض الدائري لمدة 10 أيام لتتشبع بالوان الصباغة، بعدما تتم

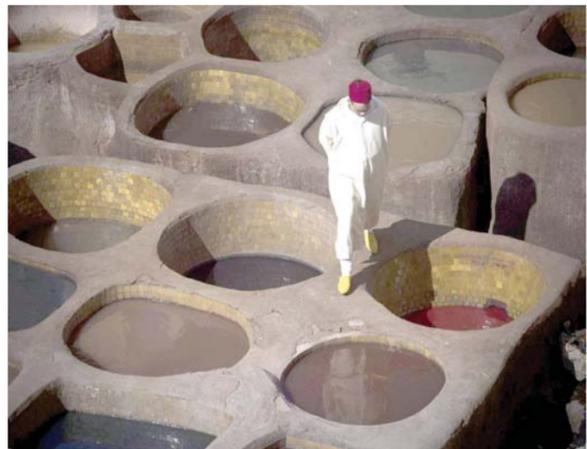
وأوضح أن "دار الدباغ" كانت تسمى قبل عقود من الزمن بدار الذهب، لأن العمل في الدباغة كان يأتي بالمال الوفير، مشيرا إلى أن أسرا كثيرة عاشت الغنى والرفاهية، لأن معيها كان يعمل بالدباغة. ووسط أحد الأحواض ينهك محسن صادق (شاب في عقده الثالث) في عمله بكل تفان، واختار امتهان حرفة الدباغة التقليدية، بعدما تعلم الحرفة عن والده الذي تقاعد بسبب تقدم سنه وتدهور حالته الصحية.

ويأخذ محسن على عاتقه مهمة حماية حرفة الدباغة من الانقراض، وهو يترأس "التعاونية الفاسية للدباغة النباتية" (غير حكومية).

يقول محسن صادق إن "دار الدباغة قبلة سياحية عالمية تحافظ على الدباغة النباتية التقليدية التي تعتبر أساس كل المنتجات الجلدية".

وتتكون من أحواض دائرية من الحجر ممتلئة بالأصباغ أو بالسوائل لتليين الصلال، عبر استخدام مواد ومنتجات طبيعية.

وظلت هذه الدار رمزا حقيقيا للمدينة من خلال إعداد الجلود المناسبة لمختلف الصناعات الجلدية التي تشتهر بها فاس. وقال علي الفاسي، وهو صاحب محل لبيع منتجات الصناعة التقليدية في المدينة القديمة بفاس، إنه بالرغم من الكساد الذي تشهده الأسواق نظرا لتدابير فيروس كورونا الذي أوقف الحركة السياحية إلا أن تجار الصناعة التقليدية يحاولون الحفاظ على هذا الموروث العريق من باب الحفاظ على رموز الهوية والأصالة المغربية.



أكواب من الألوان النباتية